أسواق القاهرة من عربة كارو
إلى أسواق مسقوفة بالكامل

●● لايمكن إغفال الحديث عن أسواق القاهرة ؛ فالسوق هو عنوان المدينة، أى مدينة . . تتطور أيام الرخاء والعز لتصبح أسواقاً تجذب المتعاملين . . أو تنحدر أيام عصور الانحطاط لتعود كما كانت مجرد « عريشة » متواضعة . .

والسوق يبدأ ببائع يضع بضاعته على قفص على الرصيف، أو ربما فى عرض الشارع. وينادى !! وحتى يحمى بضاعته من حر الشمس أو المطر ، وحتى يحمى نفسه هو من هذه وتلك . . كان يغطى بضاعته ورأسه بمظلة . . تكبر أحياناً لتظلل من يقف يشترى ؛ أى كانت وسيلة للحماية، ولجذب المشترى الذى يجد مكاناً مظللاً يحتمى تحته لحين الانتهاء من شراء ما يلزمه . .

تلك هى بداية السوق المسقوف فى أى مدينة . . وفى أى بلد فى العالم ، متحضراً فى أوروبا وأمريكا . . أو نامياً فى جنوب شرق آسيا . . أو فقيراً بدائياً فى أفريقيا . . الهدف واحد . . والمهمة واحدة : هى ترغيب المشترى ليقف ويشترى ، وهو محمى من الشمس أو المطر !!

وتطورت فكرة السوق المسقوف ـ وهى غير المسجوف فى بغداد على امتداد شارع «أبو نواس » على شط نهر دجلة !! ـ إذ عندما كان الباعة يتجمعون ويتجاورون ليبيع كل منهم بضاعته، والعطار بجوار العطار يرزق !! كان كل بائع ينصب نصبته، أى فرشته، على الأرض أو فوق أقفاص من جريد النخل ، أو على عربة يد؛ أو مجرد فرشة

خشبية يرفعها على قوائم خشبية . المهم كان يضع مظلة فوق « فرشته » هذه . وبتجاور الفرش أو النصبات وفوقها المظلات ، إما من قماش أو عريش من سعف النخل أو بقايا أقمشة قلوع المراكب أو الخيش . وبتجاور كل هذا ينشأ السوق المسقوف البدائى والبسيط . . من الخيش وعروق الخشب !! ولقد وجدت هذه البدايات فى أسواق دبى والشارقة وأبوظبى قبل نهضتها البترولية .

●● وعندما يزداد النشاط التجارى فى السوق ، يتفق التجار على تركيب سقف مشترك . . يساهم كل بائع بنسبة حجم تجارته أو نصبته . . فكانوا يصنعونه من عروق الخشب، ويسقف بسعف النخيل، كما وجدت فى البصرة جنوبى العراق حيث يكثر النخيل وأجود تمور العالم . ولكنه فى بغداد وجدته أكثر تطوراً ؛ أى يتم البناء بعروق الخشب ، ثم تقام عليها ألواح من خشب البغدادلى ، تترك فراغات للتهوية . كما وجدت فى النجف وفى فاس ومراكش والرباط ، وأحياناً يترك فيها وبينها نوافذ .

والشىء نفسه نشأ عندنا فى القاهرة القديمة : الفسطاط حيث مدينة مصر، وحيث كل أنواع النشاط الاقتصادى ، واستمر هذا الحال فى الفسطاط ، حتى بعد إنشاء العاصمة الثانية العسكر، ثم العاصمة الثالثة القطائع ؛ لأن النشاط التجارى ظل متمركزاً فى الفسطاط مدينة الجماهير ، لأن العسكر والقطائع كانتا من المدن الملكية التى تبنى لإقامة الحكام ، ومن فى معيتهم . .

واستمر المنهج نفسه مع بناء القاهرة المعزية عام ٩٦٩م . . فقد كانت القاهرة مدينة للخلفاء والوزراء وقادة الجيش ، ومن فى مستواهم ، وكان الناس يعملون فى القاهرة ، ولكنهم يعودون بعد صلاة العشاء منها إلى الفسطاط . . إلى بيوتهم !

ولم تعرف القاهرة الأسواق الحقيقية إلاّ بعد أن تدهورت حالة الخلافة الفاطمية ، وانتقل صلاح الدين وأسرته الحاكمة من دار الوزارة فى القاهرة الفاطمية ، ليقيم فى القلعة . . هنا بدأ التجار يتسللون للعمل والتجارة بكل أنواعها فى الشارع الأعظم ؛ أى قصبة القاهرة ووجدنا لكل حرفة ونشاط وتجارة أقسامها ورجالها . . وأسواقها . .

وفى هذا يقول المقريزى فى خططه :

« كانت القاهرة مدينة للخاصة ، لا ينزلها إلاّ الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط ، بينما كانت الفسطاط هى مدينة العامة والأسواق . ولم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فى القاهرة إقامة دائمة . وكان «المتعيشين » بالقاهرة والمستخدمون يصلون العشاء بالقاهرة ، ثم يتوجهون إلى منازلهم بمصر « الفسطاط » تماماً مثل الذين يعملون الآن بالقاهرة ، ولكنهم يسكنون فى بنها أو الزقازيق وقليوب وغيرها ، لأن الفسطاط كانت أرخص أسعاراً من القاهرة . . فالشقق فى القاهرة غالية . . ولهذا يفضلون برغبتهم الإقامة خارج القاهرة . . أما أيام الفاطميين فلم يكن مسموحاً لهم بالبيات فيها . .

●● وهكذا وجدنا فى القاهرة : سوق الشرايحين قرب باب زويلة ؛ أى الذين يبيعون شرائح اللحم التى يتم شيها فى حوانيت هذا السوق ، وهو أول سوق للشوايين . وكان فيه أيضاً مطابخ الرواسين أى باعة لحمة الرأس مطبوخة . ويبدو أن المصريين عرفوا حكاية « التيك أواى » حتى قبل أن يكتشف كولومبوس أمريكا بقرون عديدة . . وأن المصريين كانوا يعشقون الطعام الجاهز خارج بيوتهم . وهل هناك علاقة بين بداية الكباب و الكفتة فى شارع المعز . . وتمركز أفضل مطاعم الشواء فى هذه المنطقة وما حولها ؟!

ووجدنا على امتداد شارع المعز وفى الفسطاط : سوق القماحين أى سوق القمح «الغلال » فى الفسطاط على شط النيل؛ حيث ميناء أثر النبى فى مصر عتيقة الآن ، وسوق الحجارين أى بيع الأحجار المقطوعة من المقطم وطرة لمن يريد أن يبنى بيتاً . . وسوق السراجين أى باعة « السراج » للإضاءة بالزيت . . وسوق الحريريين أى باعة الأقمشة المصنوعة من الحرير ، وكان معظمها يأتى من الشام ومن الهند، وأغلاها ماكان يأتى من الصين . . وبعضها من جنوة والبندقية فى إيطاليا . . وأقلها ما كان يصنع فى مصر فى إخميم أو فوة أو تنيس فى بحيرة المنزلة أو دمياط .

كما وجدنا أسواق : الزياتين « باعة الزيت » . . والجبانين واللبانين أى باعة منتجات الألبان . . والعطارين . . والخضريين وسوق القناديل بجوار جامع عمرو أو زقاق القناديل . . ومازالت هناك حارة ضيقة تحفظ لنا هذه الذكرى فى المنطقة نفسها ! . .

وربما يتذكر كبار السن من سكان القاهرة هذه الأسواق ، التى كانت مسقوفة إلى عهد قريب بالخشب والقماش السميك ، على امتداد شارع المعز من باب زويلة جنوباً إلى بابى النصر والفتوح شمالاً !!

على المنوال نفسه ، رأيت وتجولت فى شوارع مماثلة تماماً ـ أصغر أو ربما أكبر ـ فى دمشق ، وبغداد ودبى والشارقة ؛ حيث أشهر سوق للذهب مغطى بالخيش !! والبصرة والنجف . . وفى فاس ومراكش والرباط . .

●● ووجدت أسواقاً عديدة مماثلة ، ولكن بطريقة أكثر تنظيماً ونظافة فى أوروبا وأمريكا . . وأستراليا وآسيا . .

فى أوروبا ـ وفى أسواق اليوم الواحد ـ حيث يذهب المزارع بإنتاجه داخل سيارة نقل تكبر أو تصغر حسب نشاطه إلى منطقة تحددها سلطات المدينة . وليكن فى سرة المدينة ، ويفرش المزارع إنتاجه على طاولات خاصة نظيفة بجوار سيارته ، ثم ينصب مظلته لحماية ما يبيع ويغرى المشترين ، إن كانت المنطقة مشمسة . . أو مطيرة . .

وفى أسواق اليوم الواحد هذه ، يفضل الناس الشراء لعدة أسباب . . أولها أن الإنتاج طازج . . آت مباشرة وفوراً من المزرعة . . وللأوروبى عشق بالإنتاج الطازج ، بعد أن مل من تناول المعلبات و الصناعات الغذائية . . . هى إذًا عودة إلى الطبيعة .

ومن هواياتى أن أبحث عن أسواق كل مدينة أزورها ؛ لأنك حتى تعرف المدينة خير معرفة ابدأ بالسوق . وقبل أن تغرب الشمس ، يجمع المزارع حاجياته وبقاياه ويضعها داخل عربته ، وينظف مكانه فلا يترك حتى زهرة أو ورقة زهرة . . وينتهى السوق بنهاية اليوم . ومن أفضل وأكبر أسواق اليوم الواحد ما وجدته فى فرانكفورت ،

غير بعيد عن بيت شاعر ألمانيا العظيم « جوته » ، ففيه تشترى وتأكل وتمرح وتتمتع وتلهو وتشاهد . . . إلى آخر ما تريد !!وتكاد هذه الأسواق تقام فى كل مدن ألمانيا . . وفرنسا .

أما فى أمستردام عاصمة هولندا ، فوجدت سوق اليوم الواحد فى شارع طويل يمتد أكثر من كيلو مترين يباع فيه كل شىء . . كل شىء . . . من الطعام و الفواكه ، إلى الملابس ، إلى الطيور ، إلى الأسماك ، إلى الهوايات ، إلى مخلفات الناس أى المستعملة . . ولا حرج أمام أى بائع يبيع . . أو أى مشتر !! وتعمدت أن أعود للشارع عند الغروب لأشاهد بقايا ومخلفات البيع والشراء ، فوجدت سيارات البلدية تغسل الشارع بالصابون وتجففه بالبخار !!

ووجدت شارع سوق اليوم الواحد نفسه فى مدريد عاصمة إسبانيا . ويطلقون عليه اسم « شارع البراغيث » . وفى مدينة سانت لويس عاصمة ولاية ميسورى . . وفى مدينة نيو أورليانز عاصمة ولاية لويزيانا على مصب نهر المسيسبى وجدت أيضاً سوق اليوم الواحد : المسقوف النظيف المنظم الصحى، ووجدته فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا . . وفى سنغافورة . . وفى مدينة ملقا التاريخية فى ماليزيا .

● **السوق المبنى .. آخر مراحل الأسواق المفتوحة :**

●● ونصل إلى السوق المبنى ، بعد أن استقرت الأحوال والأموال ، وربما ـ فى المشرق العربى ـ يعرف الناس سوق الحميدية الذى ربطت الأغانى ـ زمن الوحدة المصرية ـ السورية بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦١م ـ بينه وبين الموسكى ، لأن أول الموسكى حيث سوق الكانتو كان سوقاً مظللاً مسقوفاً أيضاً . . وسوق الحميدية بنى أيام الحكم العثمانى لسوريا . وربما يقول قائل إنه بنى أيام السلطان « نور الدين محمود » . . ولكن سوق الحميدية على أى حال كان سوقاً مبنياً . وفيه يباع كل ما تهفو إليه النفس ، وإن غلبت عليه الأقمشة السورية بحكم أن سوريا تشتهر بها، وأيضاً الأقمشة المطرزة ، والحلوى ، والباذنجان المكدوس أى المحشو بعين الجمل ، والسكاكر أو الملبسات والحلوى ، وفيه أيضاً المطاعم و المشارب ، وكل النشاطات التجارية .

●سوق إستانبول المغطى ... أعظم وأكبر أسواق العالم :

●● وفى رأيى أن سوق إستانبول المغطى والمبنى بالكامل هو أكبر وأعظم سوق مغطى فى العالم كله . . وهو الأقدم على الإطلاق . .

ويقول البعض إن هذا السوق يعود إلى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، لأنه يعلو بوابة سوق الذهب . فى هذا السوق صورة بارزة لنسر بيزنطى برأس واحد ـ شاهدته بعينى ـ وهو الشعار الإمبراطورى لعائلة كومينى ، التى حكمت بيزنطة ، أى الإمبراطورية الرومانية البيزنطية . كما أن طراز مبانى السوق تميل إلى المدرسة المعمارية البيزنطية . . ولكن هذا الكلام ليس له ما يؤيده ؛ لأن المدرسة المعمارية العثمانية تأثرت كثيراً بالعمارة البيزنطية حتى فى المساجد والتكايا والقصور . .

ولكن المتفق عليه أن سوق استانبول هذا يعود إلى بداية فتح السلطان محمد الفاتح «الثانى » لمدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣م . . إذ بعد سنوات قليلة من هذا الفتح ، أسس السلطان محمد الثانى هذا السوق فى موقعه الحالى ، وعلى المساحة نفسها التى يشغلها الآن .

وعلى الرغم من أن السوق تهدم مرات عديدة بسبب الحرائق ، التى كان آخرها عام ١٩٥٤م . . إلاّ أن مظهره لا يزال كما كان عليه ، عندما بنى للمرة الأولى ، منذ أربعة قرون !

وهذا السوق مدينة صغيرة قائمة بذاتها ، ومن الطريف أنه تم عمل مسح لنشاط هذا السوق ، فوجدوا فيه ـ عام ١٨٨٠م ـ ٤٣٩٩م دكاناً . . و٢١٩٥ورشة . . و٤٩٧ كشكاً . . و ١٢ مخزناً . . و ١٨ نافورة . . و ١٢ مصلى أو مسجداً صغيراً غير المسجد الكبير الذى يظلله بأحجاره . . ومدرسة ابتدائية ـ فى السوق ـ ومقبرة !! وقد أضيفت لكل هذه النشاطات مؤسسات تجارية عصرية ، مثل : بعض المطاعم والمقاهى والبنوك ودورات المياه .

وفى هذا السوق شارع لكل نشاط : مثل شارع تجار الجواهر ، والأحجار الكريمة، وشارع لصياغة الذهب والفضة ، وشارع لباعة المفروشات ، وشارع لباعة الخردوات ، وآخر لصانعى الأحذية ، وشارع لباعة الحديد والأدوات المعدنية . . أى إن السوق فيه كل شىء . . أما الصالة الواسعة المقببة المسماة بالسوق القديمة ، فهى فى قلب السوق تماماً ، وهى من المبانى التى بقيت من عهد السلطان محمد الفاتح .

وأجمل ما فى هذا الجزء : الأشياء الثمينة مثل السيوف والأسلحة القديمة والمجوهرات والأوانى الفخارية الكلاسيكية ، التى يقبل عليها السائح . وتلك ليست قديمة أو أثرية ، ولكنها صناعات حديثة تامة التقليد جيدة الصنع تماماً ، مثل ما نجده عندنا فى خان الخليلى أو فى دمشق أو فاس .

والسوق كله يغلق مساءً ـ بعد أن يتم تفريغه ـ ويوضع تحت الحراسة الكاملة بسبب قيمة ما فيه من بضائع ومجوهرات .

والسوق كله مبنى على نظام الأقواس ، والقباب المقامة على أعمدة ، والمزينة بالذهب وماء الذهب والنقوش البيزنطية ـ العثمانية . . ولم يبخلوا على تجميله مثل المساجد والقصور العثمانية ، بل إن الأعمدة الحاملة آية فى الجمال والنقوش والتيجان رائعة الجمال . . .

وهذا السوق اسمه بالتركية « بيوك جارشو » ومعظم مبانيه حجرية . .

●● وعلى غرار هذا السوق العثمانى، أقام حاكم الشارقة سوق الشارقة الرائع فى منتصف السبعينيات ، على الطراز العربى الإسلامى ، المطعم بملامح خليجية ، وبالذات فى نظام التهوية المعروف فى الخليج باسم « البراجيل » ، التى تسحب الهواء البارد إلى داخل المبنى ، وتطرد الهواء الساخن إلى الخارج من أعلى . . وأضاف عليه من عناصر الجمال عدداً من النوافير وأحواض الزهور والكراسى الرخامية ؛ لراحة المترددين على السوق .

وفى لندن هناك سوق مسقوف مبنى بالكامل ، ومزين من الداخل ، ويقع فى ممر يصل بين شارعى بيكاديللى وريجنت ستريت فى قلب مدينة لندن .

● **بواكي مصر .. أصلها وفصلها :**

إلى أن نصل إلى الأسواق التى تتخذ من البواكى نظاماً لها ، وهو المعروف فى القاهرة الخديوية وفى بورسعيد وفى ضاحية مصر الجديدة . .

والبواكى تعتمد على توفير مساحة من الظل ، فوق أرصفة الشوارع لتظليل الرصيف خدمة للمشاة . . وأيضاً إضافة مساحة ظليلة أمام المحلات والدكاكين والمطاعم . وأبرزها ما تكون فى شارعى محمد على وكلوت بك ، والشوارع المحيطة بمنطقة الأزبكية حول سور الجنينة الشمالى ؛ أى فى قلب القاهرة الخديوية وحول ميدان العتبة . .

واختيار هذا الأسلوب المعمارى من الأسواق له حكاية . .

●● فقد اختلف الخديو إسماعيل مع مهندسيه ومستشاريه حول طريقة توفير المساحة المغطاة من الأسواق أو الشوارع . .

البعض كان يرى أن تتم زراعة الأشجار ، وبالذات اللبخ على جانبى الشوارع الجديدة أسوة بما تمت زراعته فى المدينة الوليدة الإسماعيلية ، حيث الزهرة البيضاء ذات الحواف الحمراء ، والتى أطلق عليها العامة اسم « ذقن الباشا » ، عندما زرعها محمد على حول شارع شبرا . . وهؤلاء كانت حجتهم أن اللبخ شجرة ظليلة ـ وشديدة الخضرة .

ولكن الرأى المعارض قال إن الأشجار تجلب الناموس مما يضايق السكان . . كما أن الأشجار يمكن أن تتحول إلى سلم يصعد عليه اللصوص لسرقة المساكن . . أما العقود فسوف تنتفع بها البيوت ؛ لأنها تسمح للبيوت أن تبرز بعد الدور الأرضى فوق الرصيف لتعوض سكانها عما ضاع من أرضهم عند نزع ملكية البيوت القديمة ، التى كانت قائمة . كما تنتفع الحكومة من بيعها لأصحاب البيوت بدلاً من ترك المساحات الصغيرة دون فائدة . .

وعاد أصحاب رأى زراعة الأشجار إلى الدفاع عن رأيهم . . ولكن المعارضين قالوا إن الأشجار تحتاج إلى خدمة و إلى ترعة أو مصدر دائم للمياه اللازمة للرى والسقى . . أما العقود فلا تحتاج إلى شىء من ذلك . . ويروى على باشا مبارك هذا الجدل فى خططه التوفيقية .

ولكن يبدو أن الخديو إسماعيل هو الذى حسم الأمر ، عندما قرر الأخذ بنظام البواكى العلوية التى تظلل الأرصفة وتوفر الراحة للباعة والمشترين والمشاة . . فهل تم هذا لأنه تأثر بالبواكى ، التى رآها فى باريس خلال الدراسة ، وبالذات البواكى الموحدة فى شارع ريفولى بالقرب من متحف اللوفر ، وهو الشارع الذى يبدأ من ميدان الكونكورد حيث المسلة المصرية الشهيرة . . ويبدأ من اليمين من سور حدائق التويلرى الشهيرة ، وتمتد على جانبى شارع ريفولى هذه البواكى التى تخدم المارة والمشترين ، والتى يبرز جمالها بسبب اتساع رصيفيها على الجانبين ، ثم يتنقل نظام البواكى إلى الجانب الأيسر من شارع ريفولى ، حيث ميدان الفاندوم ، وحوله أيضاً العمارات التى تأخذ شكل البواكى فى دورها الأرضى ؟!

وتغلب رأى الخديو إسماعيل إذاً ، وتم نزع ملكية ٣٩٨ بيتاً وطواحين وأفراناً ورباعاً وحمامات وزرائب وخرائب ؛ لكى يشق شارع محمد على ، ويجمل منطقة العتبة الخضراء ، وكان حريصاً على تعويض كل من نزعت منه أرضه .

●● وهكذا رأينا العمارات الضخمة فى شارع محمد على ، الذى نلاحظ أنه شبه مستقيم ؛ أى على خط واحد على غير عادة الشوارع فى القاهرة القديمة والفاطمية . وعلى الجانبين قامت البواكى ، واتبع الطراز المعمارى نفسه فى كل العمارات التى أقيمت حول ميدان العتبة . . فى الضلع الشرقى بين شارع محمد على وشارع الأزهر . . ثم فى الضلع الغربى ، حيث كانت قهوة متاتيا التى تم هدمها ، ومع بواكيها فى النصف الأول من عام ١٩٩٩م دون أن يعترض أحد . .

ثم يمتد نظام البواكى إلى شارع كلوت بك على جانبيه تماماً من ميدان الخازندار إلى

أن يصل الشارع إلى ميدان باب الحديد . وأيضاً على طول الضلع الشمالى من حديقة الأزبكية حيث شارع سور الجنينة (حاليا شارع على الكسار) . . إلى أن يصل إلى تقاطعه مع شارع إبراهيم باشا « الجمهورية حالياً » ، ومازالت هذه العمائر العظيمة صامدة ، رغم سوء الاستخدام وقلة الرعاية والاهتمام . .

ولكن مازال نظام البواكى ـ أى الأسواق المسقوفة ـ يقاوم الزمن وجاءت الحماية هذه المرة من رجل أعمال غير مصرى . من « البارون إمبان » البلجيكى ، الذى حصل على امتياز ؛ لإنشاء ضاحية مصر الجديدة عام ١٩٠٦م . . إذ صمم الرجل أن تكون مبانى واحد من أشهر وأكبر شوارعها بطراز البواكى . .

وهكذا نجد البواكى تقوم من جديد فى شارع إبراهيم اللقانى ، الممتد من ميدان روكسى فى أول الضاحية إلى ما بعد شارعى هارون الرشيد ودمشق . . حتى يمكن أن نقول إن هذا الشارع جاء على غرار شارع ريفولى فى باريس ، من حيث اتساع عرض الرصيف ، وأيضاً نوع الرخام المستخدم فى رصف الشارع من نوع من الفسيفساء الصغير.

ويبدو أن البارون إمبان أحيا طراز البواكى وحدثها وأغرى غيره بإعادة بنائها . . ففى شارع طلعت حرب « سليمان باشا سابقاً » ، يتفرع ممر اسمه « ممر بهلر » يصل بين شارعى طلعت حرب وقصر النيل . وقامت على جانبى الممر عمارة بهلر الضخمة التى اعتمدت نظام البواكى ، ولكن ليست بالارتفاع ذاته ، وإن كانت بالاتساع ذاته الموجود فى شارع ريفولى بباريس وبجمالياته نفسها ، بل ربما أكثر بهاءً ويوفر مساحة من الظل توفر تياراً هوائياً منعشاً للمشاة على الجانبين ؛ حيث أحدث محلات القاهرة منذ الأربعينيات بين الشارعين المشهورين : سليمان باشا وقصر النيل . وهذه الظلال والهواء المنعش يجذب المشترين إلى هذه المنطقة التجارية . . وهذا هو الهدف . .

● **بواكى بورسعيد :**

وما دمنا نتحدث عن البواكى لا ننسى مدينة بورسعيد ، وقد أقيمت فى عصر

الخديو إسماعيل أيضاً ، رغم أنها تحمل اسم عمه محمد سعيد باشا . . والشوارع الرئيسية فيها ـ وهى طولية وعرضية تتقاطع مع بعضها ـ أقيمت مبانيها كلها بنظام البواكى ؛ لتوفير مساحة الظل المطلوبة للسياح والبحارة والتجار ، بحكم أن المدينة هى المدخل الشمالى لقناة السويس ، ومن الضرورى توفير مساحة ظل لمن يطوف بالمدينة ويتسوق بين محلاتها . .

وهكذا جاءت الشوارع التجارية بنظام البواكى ، رغم أن معظم مبانى المدينة أقيمت من الخشب !! ولكن كلها هى والمبانى التى أقيمت بالطوب أو الحجارة اعتمدت نظام البواكى ، فالمدينة تجارية فى المقام الأول . . أى هى المدينة السوق . .

والطريف أننى وجدت مدينة بالتصميم ذاته ، والمبانى والبواكى ذاتها والشوارع الطولية والعرضية المتقاطعة ذاتها . . وجدتها فى عاصمة ـ ولاية لويزيانا الأمريكية . . فى مدينة نيوأورليانز . . ويسمون هذه المنطقة من هذه العاصمة « الحى اللاتينى » نسبة إلى سميه فى باريس ، أى منقول من باريس تماماً ، كما نقل الخديو إسماعيل فكرة مدينة بورسعيد ، وفكرة البواكى عن باريس وعن العمارة الباريسية . .

● سوق العتبة وسوق باب اللوق نموذجان من باريس :

قلنا إن المنطقة عند أول شارعى عبد العزيز ومحمد على كانت عبارة عن مقابر تسمى ترب المناصرة. وعندما قرر الخديو إسماعيل ، شق شارع محمد على ، قرر بناء سوق عصرية ـ مثل تلك التى رآها الخديو فى باريس . . كان هدفه جمع نشاطات بيع الأغذية فى مكان واحد عصرى ، بدلاً من السويقات التى كانت منتشرة فى أحياء القاهرة ، حتى يسهل مراقبتها . .

وبالفعل أقام السوق ـ الذى كان مفخرة عند إنشائه عام ١٨٦٩م ـ فى المنطقة التى تمت إزالة المقابر منها لتجميع تجار الخضر والفواكه واللحوم والطيور والأسماك والخبز والبقول . وكانت هناك حول المقابر قبل إزالتها مقاهٍ خشبية ، كان يسمر فيها السوقة ، مدخنو الحشيش ومحبو النوادر وأصحاب القافية .

وحتى يكون السوق الجديد متكاملاً ، أصدر الخديو إسماعيل قراراً إلى نظارة الأشغال فى مايو ١٨٦٩م ، منطوقه «الخرابة » المار فيها شارع محمد على وشارع عبد العزيز ، يعمل فيها سويقة ؛ لبيع الأشياء المعتاد بيعها فى أمثال ذلك بأوروبا ـ لاحظوا المعنى ـ بحيث تكون فى غاية الانتظام . وبما أن «كودريه بيك » سيجرى جلب المياه لحد الأزبكية بالقرب من ذلك المحل ؛ أى السويقة « السوق » . . يصيرتعريفه عن حضور « يقصد توصيل المياه » لحد السويقة المذكورة ، مع إجراء اللازم أيضاً فى تنويرها بالغاز. . !!

أى أن إسماعيل كانت عينه أيضاً على أسواق أوروبا النظيفة ، التى تتمتع بخدمات المياه من أجل النظافة العامة وضمان سلامة الأغذية، وأيضاً إضاءتها بالغاز الذى كان أحدث وسيلة وقتها للإضاءة . . ثم إن هذا السوق العصرى ـ سوق العتبة ـ أقيم فوق خرابة !! ومن يشاهد الآن هذا السوق بعد ١٣٠ عاماً ، لم تدخله أى عمليات صيانة أو تطوير ـ وربما تنظيف ـ يمكنه أن يتخيل كيف كان هذا السوق عند إنشائه عام ١٨٦٩م .

وكان أيضاً من الأسواق المغطاة التى نتحدث عنها هنا ، فقد كان يتمتع بقنوات رفيعة حتى يسهل تنظيف السوق . كما كان يتمتع بنظام جيد للتهوية ، فضلاً عن أبوابه المتعددة سواء من ناحية شارع الأزهر أو من الناحية الغربية حيث ميدان العتبة . . أو من ناحية شارع محمد على حيث يخدم حى المناصرة. ونلاحظ أن السوق خال من كل الجهات ، ومحاط بشوارع ، ولكن يفصله عن ميدان العتبة عمارة ضخمة ذات بواك ؛ للمحافظة على رونق الميدان من حركة السوق وزبائنه .

***

فى السوق البسيط . . يضع البائع مجرد مظلة لتحمى بضاعته من الشمس وتحميه !!

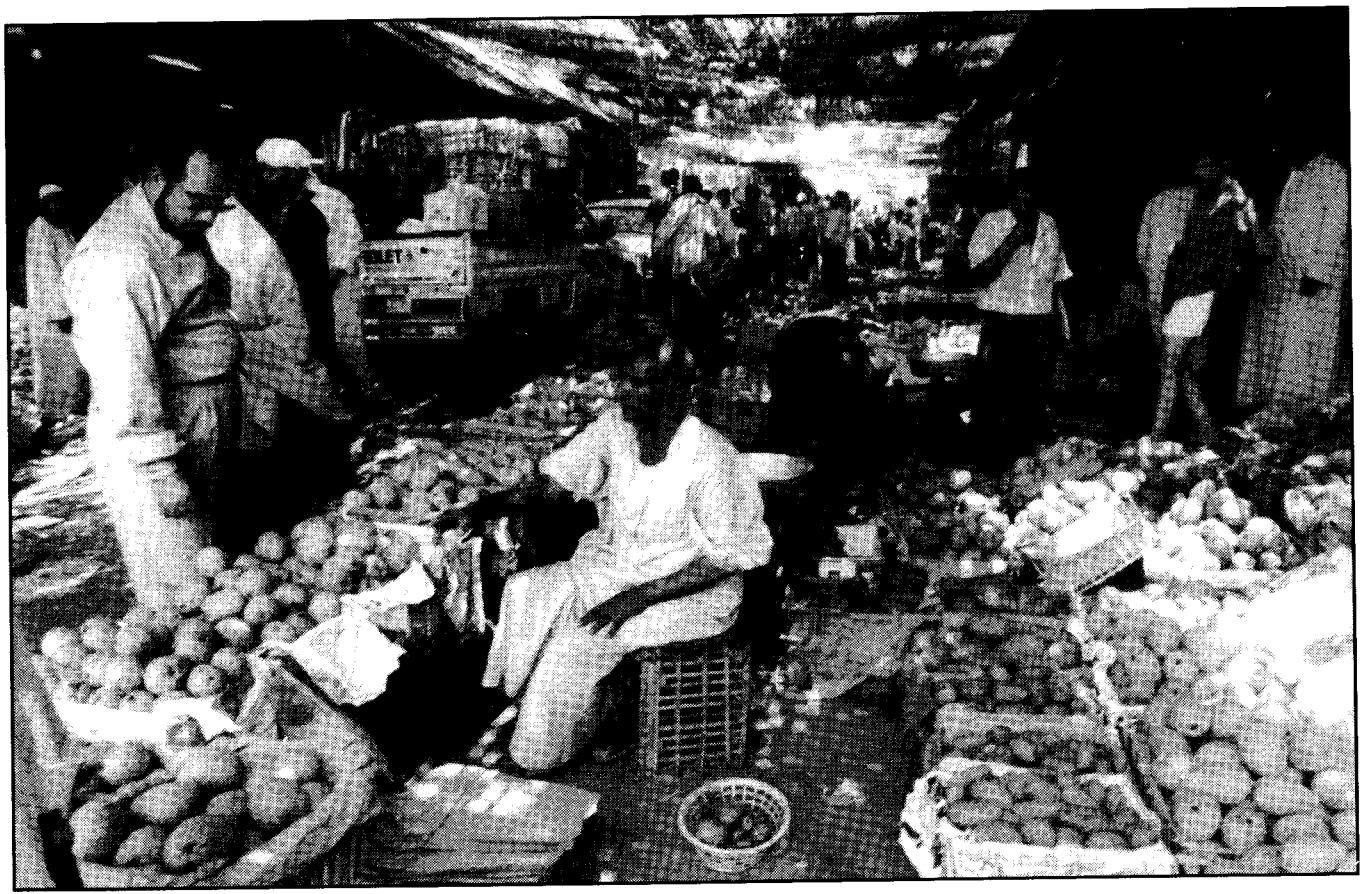

. . وتتوسع الحماية ـ المظلة ـ عندما يشترك عدد من الباعة فى تركيب تعريشة « أو عريش » لتحمى بضائعهم من حرارة الشمس .

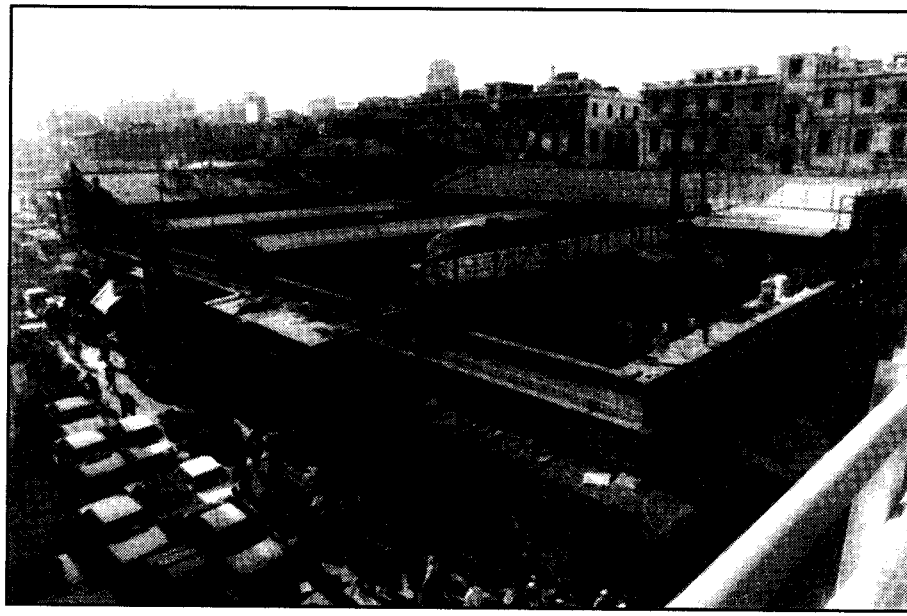

العتبة الخضراء سوق العتبة . . أنشأه الخديو إسماعيل على غرار سوق باريس .

العتبة الخضراء وسوق المناصرة حيث تجارة الموبيليا الشعبية كانت هنا مجرد مدافن .

العتبة الخضراء كانت أسواق العاصمة تتركز حول هذا الميدان عندما كان يمثل قلب القاهرة .

بواكى قاهرة إسماعيل فى شارع كلوت بك . .

بواكى شارع إبراهيم اللقانى فى مصر الجديدة توفر المأوى ومساحة من الظل . . وتحمى المشترين من الأمطار شتاءً .

. . وبواكي ممر بهلر الذى يصل بين شارعى طلعت حرب وقصر النيل فى قلب الحى التجارى بالقاهرة
هى آخر ما شهدته القاهرة من هذه الطرز المعمارية التى توفر الحماية للعابرين صيفاً وشتاءً .

المراجع والمصادر

- الخطط التوفيقية . . على مبارك باشا .
- تقويم النيل ٦ أجزاء . . أمين سامى باشا .
- تاريخ المساجد الأثرية . . حسن عبد الوهاب .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون . . د. سعاد ماهر .
- القاهرة وتنظيمها . . حسن عبد الوهاب .
- كتاب وصف مصر . . إصدار الحملة الفرنسية .
- القاهرة . . تاريخ حاضرة تأليف أندريه ريمون .
- عصر إسماعيل جزءان . . عبد الرحمن الرافعى .
- مصر . . ولع فرنسى . . روبيه سوليه ترجمة لطيف فرج .
- خبايا القاهرة . . أحمد محفوظ .
- الحياة الاجتماعية فى القاهرة د. سمير عمر إبراهيم .
- مجلة مصر المحروسة عدة أجزاء . . د. ماجد محمد على فرج .
- القاهرة . . شحاتة عيسى إبراهيم .

ـ سيرة القاهرة ستانلى لينبول ترجمة . . د. حسن إبراهيم حسن وآخرين .

ـ القاهرة بين حيلين . . حافظ محمد .

ـ القاهرة . . مدينة ألف ليلة وليلة . . أولج فولكف . . ترجمة أحمد صليحة .

ـ التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . . أندريه ريمون .

ـ القاهرة منارة الحضارة الإسلامية . . د. عبد الرحمن زكى .

ـ القاهرة . . ديزموند ستيوارت . . ترجمة يحيى حقى .

ـ إنجليزى يتحدث عن مصر أ. و. لين ترجمة فاطمة محجوب .

ـ القاهرة جزءان . . فؤاد فرج .

ـ مذكراتى فى نصف قرن أحمد شفيق باشا .

ـ لمحة عامة إلى مصر « مجلدان » كلوت بك .

ـ القاموس الجغرافى للبلاد المصرية . . محمد بك رمزى .

ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية . . محمد عبد الله عنان .

ـ خريطة دليل مدينة القاهرة . . مصلحة المساحة مقياس ١٠٠٠٠ : ١ عام ١٩١٢ .

ـ خريطة دليل مدينة القاهرة . . مصلحة المساحة مقياس ١٥٠٠٠ : ١ عام ١٩٥٢ .